عرس الزين
دراسة في ضوء النظرية السلوكية اللغوية (*)

الباحثون:

أ.د.حسين يوسف قزق
أستاذ مشارك في اللغة والنحو
جامعة البلقاء التطبيقية/كلية إربد الجامعية

د. مصطفى عوض بني ذياب
أستاذ مساعد في اللغويات العربية
جامعة البلقاء التطبيقية/كلية إربد الجامعية

أ.د. هاشم أحمد العزام
أستاذ في النقد الأدبي القديم
جامعة البلقاء التطبيقية/كلية إربد الجامعية

د. أحمد حسن عزام
محاضر متفرغ
جامعة البلقاء التطبيقية/كلية إربد الجامعية

الملخص

تقوم هذه الدراسة على تطبيق النظرية السلوكية اللغوية لبلومفيلد على رواية عرس الزين للطيب صالح، والتي تقوم على فكرة المثير والاستجابة، وإذا كانت النظرية تنص على أن المثير من قبل المتكلم والاستجابة من قبل المتلقي، وأنها استجابة حتمية، فإنه قد تبين للباحثين في هذه الدراسة أن الاستجابة ليست كما يُراد لها دائما، فهي قد تكون ناجحة، وهو الغالب في الرواية، أو فاشلة، وهو الأقل، أو متعددة، وذلك في حالة ما إذا كان هناك أكثر من متلقٍّ ومخاطَب، فحينئذ تتعدد الاستجابات. وهو ما أثبتته هذه الدراسة بالأمثلة؛ وهذا الذي نقول به يؤدي بنا إلى أن نقول بتوسيع مجال النظرية لتشمل الاستجابات المختلفة الناجحة والفاشلة والمتعددة. وما نقوله هنا ليس نقضا للنظرية ولا اعتراضا عليها، بل هو من قبيل الاستدراك، فهي نظرية صالحة للأخذ بها وتطبيقها على نصوص أدبية كثيرة، وغير أدبية في المجالات الإنسانية الأخرى.

(*) مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد (٨١) العدد (٢) يناير ٢٠٢١.

وتقوم رواية عرس الزين للطيب صالح على حدث بالغ الأهمية في إثارة النفوس، وهو زواج الزين من الفتاة التي تشرئب لها الأعناق إنها نعمة ذات الجمال والنعمة والدلال؛ إذ عصف خبر زواج الزين منها بأهل القرية الذين تلَقّوْه باندهاش، مع اختلاف في الاستجابات، ما بين محبٍّ فَرِحٍ، وكارهٍ غاضِبٍ. فكان هذا هو الحدث الأبرز في تحريك النفوس، وإثارة الخواطر، ومن الجمل المثيرة التي أصبحت تُتلقّى بالاهتمام مقولة الزين: "أنا مكتول في حوش ..."، والتي أثارت اهتمام الشباب إلى أن هناك فتاة ذات جمال باهر، فيهرعون إلى خطبتها، وانتباه الكبار الذين لم يعجبهم مثل هذا الكلام الخارج عن مفاهيم وعادات المجتمع، وانتباه الأمهات لخطورة العبارة، وجلب نظر الشباب لخطبة بناتهن، واستلطاف الزين وإظهار الود له ليقول هذه العبارة الذهبية في بناتهن ليتزوجن في أسرع وقت ممكن.

تزعم هذه الدراسة أن استخدام اللغة في هذه الرواية يقوم على فكرة المثير والاستجابة، وهما أساس النظرية السلوكية اللغوية، التي تبناها بلومفيلد، وقد هدفت الدراسة إلى أن تطبق النظرية السلوكية على رواية عرس الزين، فكانت النتائج تسير وفق المأمول. وظهر لنا أن الرواية في أغلبها تخضع لفكرة المثير والاستجابة.

الكلمات المفتاحية: عرس الزين، كاتلالها كتيل، الزين، نعمة، أنا مكتول في حوش ...

Abstract
The Wedding of Zein: A Study in the light of Behavioural Theory

This study aims to apply the behavioral theory on the novel ‘The wedding of Zein’. Based on the idea that all behaviors request response and simulation, this study reveals that some intended responses may be achieved, as found abuduntely in the novel. On the other hand, some responses may be failed, which is rarely found in the novel, and some are multiple, especially if there are more than one addressee; accordingly, there will be different responses, as proven by this research.

In the novel, the villagers receive the idea of 'The wedding of Zein', surprisingly, with different responses: some are happy and others are mad. The most popular sentence "I am dying over there…" receives much attention from the villagers. The young men think that there is a fair lady, so they hurry to propose marriage. The old men have noticed what happened, but they don't like this issue which violates all their traditions and customs. Moreover, the mothers have noticed the danger of this popular sentence. This "golden sentence" is meant to be said in order to make the girls in village get married as soon as possible.

***

تترتب خطة هذا البحث وفق الخطوات الآتية:

سؤال البحث، وحديث عن أهمية الدراسة، فالدراسات السابقة. ثم حديث عن النظرية السلوكية، وأخيرا حديث عن الاستجابات وأنواعها.

سؤال البحث: هل يمكن تطبيق النظرية السلوكية على رواية عرس الزين؟ وهل تقوم الرواية على فكرة المثير والاستجابة؟ وما هو دور ذلك في هذه الرواية؟

أهمية الدراسة:

تحاول هذه الدراسة أن تلقي الضوء على رواية عرس الزين، وذلك من خلال تطبيق النظرية السلوكية على هذه الرواية، وبيان أن مجموع الأحداث والتصرفات فيها تقوم على أساس المثير والاستجابة، وأنها صالحة تماما لتطبيق هذه النظرية.

-دراسات سابقة:

للباحث سعيد بوفلاقة دراسة بعنوان قراءة أسلوبية في رواية الطيب صالح عرس الزين، وقد تعرض فيها لمفهوم الأسلوب عند العرب والغربيين، ثم

عمد إلى تحليل أسلوبية الرواية من حيث نوعية النص السردية، شخصيات الرواية، والمستوى المعجمي، والمستوى النحوي[١].

وليست تقترب هذه الدراسة من دراستنا فهي تتبنى الدراسة النفسية لشخصيات الرواية. بينما تتبنى دراستنا النظرية السلوكية اللغوية.

وكذلك دراسة نقدية لرواية "عُرس الزين"[٢] للدكتورة نهى الزيني، وهي تقوم على دراسة ثنائية الفصحى والعامية في رواية عرس الزين.

وأما الدراسة التي جاءت تحت عنوان عبيد السودان السابقين: دراسة عن "عرس الزين" للطيب صالح . ترجمة: بدر الدين حامد الهاشمي، فهي مقالة تتحدث عن العادات الاجتماعية في السودان، والتي تظهر من خلال رواية عرس الزين[٣].

وفي تحليل رواية "عرس الزين" للطيب صالح، للدكتور محمود وليد أبو ندى، وهي محاضرة يقوم فيها المحاضر بتحليل شخصيات الرواية بدءا من شخصية الزين والحنين ونعمة وغيرها. ويتناول أسلوب السرد، والزمن في الرواية، ولغة الرواية السرد والحوار[٤].

وكذلك دراسة جبور أم الخير "العجائبي في الرواية السودانية عرس الزين" للطيب صالح أنموذجا، وهي دراسة تتحدث عن عنصر عجائبي خارج عن المألوف، وهي شخصية الزين قبيحة المنظر جميلة الروح التي تتحقق على يديها المعجزات، فعلى بساطة الزين ثمة أمور عجيبة تتحقق وتلفت إليه الأنظار[٥].

والذي نراه أن هذه الدراسة تختلف عن سابقاتها، حيث إنها اعتمدت تطبيق النظرية السلوكية على هذه الرواية، ولم نر دراسة قامت بمثل ذلك.

هذا ولم نجد أية دراسة تقترب بعنوانها أو مضمونها من هذه الدراسة،

وهو ما يجعلنا نطمئن إلى الكتابة في هذا الموضوع والاستمرار فيه.

• تمهيد عن نظرية السلوكية اللغوية

تقوم النظرية السلوكية على دراسة الظواهر الإنسانية، ومنها اللغة، دراسة فسيولوجية، تعتمد الظاهر، وهي تقوم أي نظرية بلومفيد، أو بالأحرى النظرية السلوكية، على عدة أسس، هي:

١-أنها ترى أنّ كل شيء محكوم بقوانين الطبيعة.

٢-أن اللغة هي سلوك يقوم على المثير والاستجابة في كل استخداماتها،

م _____ س

(م: المثير، س: السلوك)، فالمثير يشكل سببا للاستجابة، والاستجابة أثر له، ومجموع الكلام هو عبارة عن مثير يستدعي استجابة، والاستجابة قد تتحول إلى مثير فتستدعي استجابة، وهكذا. ويمكن رسم هذا الأمر هكذا: م – س – م٢ –س ٢+ م٣ – س٣[٦]....

ومثال على ذلك قصة التفاحة التي ذكرها بلومفيد في كتابه، وتتلخص في أن جيل ترى تفاحا، فتصدر صوتا، فيجلب لها جاك تفاحة. ونضرب مثالاً آخر على المثير والاستجابة السلام ورد السلام، فعندما يسلم علينا أحدهم نقوم برد السلام، وكذلك ما يحدث في المشاجرات من أخذ وعطاء في تبادل المسبات والشتائم، والرد على كل صغيرة وكبيرة تأتي من الطرف الآخر.

٣- عدم الاعتداد بمصطلحات الفكرة والإرادة والشعور، وترجمتها إلى لغة تتضمن حالة فسيولوجية أو فيزيقية، *"فمعنى "الجوع" مثلا في قولي: "أنا جائع" يعرف بالتقلص العضلي وما يحدث في المعدة من إفرازات، وما قد يصحب ذلك من عطش ..."* [٧]

٤ – تقوم النظرية السلوكية على تحليل البناء اللغوي كما هو في الواقع اللغوي، بقطع النظر عن البنية الضمنية المتوارية خلف البنية الظاهرة . (٨)

٥ – إنَّ هناك ألفاظاً معينة في اللغة لا نكاد ننطقها إلا وتستصحب معها ألفاظاً أخرى معينة تسمى المصاحبات اللغوية (Collocation). (٩)

ومن أهم المآخذ على هذه النظرية إنه ليس بالضرورة أن يكون لكل مثير استجابة، وإنه قد تتعدد الاستجابة(١٠).

ثانيا: عرض لفكرة المثير والاستجابة، وذلك من خلال رواية عرس الزين، حيث إن الاستجابة قد تكون:

أ–كما نريد، وذلك كما في موقف الصحاب مع الزين عندما يستفزونه ليتحدث معهم عن موقف ما يريدون الاستمتاع به، فيحصلون على الاستجابة المرادة.

ب– أو أنْ تكون مرفوضة، وذلك كموقف حليمة عندما ذهبت لتخطب نعمة لابنها، أو موقف المدير في الموقف نفسه، ونظرة للموضوع من زاوية سياقية، فالناس الذين ذهبوا لطلب نعمة لم ينظروا لأنفسهم وما هي عليه، ولا للآخر وما يحمله في نفسه تجاه الآخرين، وبالتالي كان التقدم لما يريدون مغامرة غير محسوبة، وكانت النتيجة هي الرفض. وهو ما صدمهم، ولما سمعوا بفكرة زواج الزين من نعمة صُدموا مرة ثانية؛ إذ إنهم لم يتوقعوا أن يكون هو العريس، فمن الممكن أن يكون أي شاب، ولكن ليس الزين.

ج–أو أنْ تكون متعددة، وذلك كموقف الزين عند قول عبارته الشهيرة: "أنا مكتول في حوش محجوب"، فللشباب استجابة، وللكبار استجابة أخرى نابعة من الأخلاق، وللعمدة استجابة مختلفة استغل فيها الزين فاشتغل له

أكثر مما تقدر عليه الجن.

وذلك متخالف مع بعض أسس النظرية التي ترى آليّةَ الحدث اللساني، أو حتمية المثير والاستجابة.

فإذا كانت عملية الإخبار علّة الحدث اللساني أساساً فإنّ غائيّة الحدث الأدبي تكمن في تجاوز الإبلاغ إلى الإثارة؛ مما يجعل الخطاب الفني مزدوج الوظيفة والغاية، يؤدي ما يؤديه الكلام عادةً وهو إبلاغ الرسالة الدلالية، ويسلط مع ذلك على المتقبّل تأثيراً ضاغطاً به ينفعل للرسالة المُبلَّغة انفعالاً ما(١١).

وستركز هذه الدراسة على فكرة المثير والاستجابة من خلال رواية عرس الزين للطيب صالح، وقد قامت الدراسة على تقسيم الاستجابات إلى ثلاثة أنواع، ترتبت حسب كثرة ورودها، وهي كالآتي:

أولا: الاستجابة الناجحة، وتتمثل فيما يأتي:

أ-الزغرودة: ويمكن أن نضرب بالزغرودة مثالا إزاء مثال التفاحة الوارد في كلام بلومفيلد، وهو من رواية عرس الزين، وهو أن الزين كان عندما يسمع زغرودة يتجه بنظره فورا جهة مصدر الزغرودة، فإذا حدد المكان بدأت رجلاه تركضان تجاه الموقع، وتكون أول جملة يقولها صارخا: " عوك يا أهل العرس، يا ناس الرقيص الزين جاكم ". وإذا الزين قد قفز كالقضاء واستقر في حلقة الرقص. ويفور المكان فجأة فقد نفث فيه الزين طاقة جديدة. ومن بعيد يسمع المرء صيحاتهم يرحبون به: " ابشر . ابشر . حبابك عشرة "(١٢). وهو له قدرة عالية على معرفة صاحبة الزغرودة. فالزغرودة بالنسبة له تشكل مثيرا قويا يدفعه إلى أن يتجه قلبا وقالبا إلى حيث انطلقت تلك الزغرودة.

ولعل الزغرودة تشكل مثيرا مهما، ولكنها هي أيضا استجابة لمثير آخر، فعرس الزين يشكل فرحا غامرا، وخاصة لأمه، وعندما تنطلق زغرودتها

في الفضاء تصبح مثيرا قويا لأخريات فيجبن بزغاريدهن فيمتلئ الجو بالزغاريد، ناشرا عبق الفرح في الفضاء، على إنه لكل واحدة سبب خاص لإطلاق زغرودتها، فسلامة تزغرد لأنها تحب الحياة، وهذه آمنة تزغرد من شدة غيظها.

(هل تذكر آمنة وكيف أرادت البنت لابنها فقالوا لها البنت قاصر لم تصر للزواج ؟)

" أوو .. اوو ... اووا "(١٣).

هذه عشمانة الطرشاء قلبها الأصم عربد بالحب في عرس الزين"(١٤). السبب الظاهر واحد، والخفايا في الصدور. والزغاريد تنشر البهجة في النفوس.

ب–**فتاة القوز**: فرؤية فتاة القوز، تلك الفتاة، بجمالها الأخّاذ، جعل الزين يرتبك أولا، ومن ثم يقول تلك الجملة الشهيرة: " واكتلتي يا ناس ". ولكن هذه الاستجابة نفسها كانت مثيرا قويا للقلق والانتباه عند كثير من الناس، "وامتدت رؤوس كثيرة من أبواب البيوت وبين فرجات الخيام، وصاحت أم الفتاة: "حليمه الموقفك شنو مع الدرويش دا ؟" وهب إخوان الفتاة على الزين، ففر منهم"(١٥)، مما جعله يقفز هاربا.

ج–**الحنين**: وهو من الشخصيات المؤثرة في حياة الزين، وهو شخصية ذات بعد صوفي، يختفي ستة أشهر ويظهر ستة أشهر، وعندما رأى الزين سيف الدين، وكان قد ضربه مرة إذ حضر عرس أخته، فهجم عليه، فكانت رؤيته مثيرا قويا للهجوم عليه هجوما كاسحا كاد يقتله فيه، ولم يستطع أحد أن يوقف الاشتباك بينهما، ولكن كلمة من الحنين أوقفت ذلك القتال العنيف: " لكن صوت الحنين ارتفع هادئا وقورا فوق الضجة : (الزين . المبروك . الله يرضى عليك) وانفكت قبضة الزين ووقع سيف الدين على الأرض هامدا ساكنا ووقع الرجال الستة دفعة واحدة. فقد فاجأهم صوت الحنين وباغتهم الزين بسكوته

المفاجئ فكأن حائطا أمامهم كانوا يدفعونه، انهد بغتة، ومضت برهة قصيرة جدا، مقدار طرفة العين ساد فيها صمت كامل، لا بد أنه كان صمتا مزيجا من رعب وحيرة وأمل، بعد ذلك جاشت الحياة فيهم مرة أخرى وتذكروا سيف الدين، انكبت رؤوسهم عليه، ثم صاح محجوب بصوت فرح مرتعش(الحمد لله . الحمد لله) وحملوا سيف الدين ووضعوه على كنبة أمام دكان سعيد وفي أصوات متوترة خافتة أخذوا يعيدونه إلى الحياة"[١٦].

د- سيف الدين: ولعل انقلاب حياته من اللهو إلى الصلاح والجد، هو أكبر استجابة حدثت في حياة هذه الشخصية المنفلتة الزمام، فبعد أن كاد يهلك على يد الزين، وارتداد الزين عنه، ونجاته من موت محقق، انقلبت حياته من هزل إلى جد، وترك حياة اللهو والمغامرة والعبث، وصار شخصا آخر، واندهش الناس لما سمعوا من تغيرات في حياته، "سمعوا أولا أنه ذهب من صباحه إلى أمه وقبل رأسها وبكى طويلا بين يديها. وأنه جمع أعمامه وأخواله وأنه تاب واستغفر أمامهم. وأنه تأكيدا لتوبته أخرج ما تبقى من ثروة أبيه من ذمته، وجعل عمه الأكبر وصيا عليها حتى يصير هو صالحا تماما لمباشرة مسؤوليته. كاد أهل البلد يعوّدون آذانهم على ذلك، حتى رأوا لعجبهم سيف الدين يدخل المسجد لصلاة الجمعة، كان حليق اللحية، مهذب الشارب، ونظيف الثياب، ويقول الذين حضروا الصلاة أنه لما سمع خطبة الإمام، وكان موضوعها البر بالوالدين، أجهش طويلا بالبكاء حتى أغمي عليه، وتجمهر حوله الناس يطيبون خاطره، ولما خرج من المسجد، ذهب من فوره إلى موسى الأعرج وقال له إنه أخطأ في حقه وطلب صفحته، وقال له: إنه سيبرّه كما برّه أبوه. وعاشت البلد شهرا أو قرابة شهر وهي تلهث كل يوم من عمل جديد قام به سيف الدين عزوفه عن الخمر، ابتعاده عن أصدقاء السوء، مواظبته على الصلاة انصرافه إلى إصلاح ما فسد من تجارة أبيه برّه بأمه. خطوبته لبنت عمه. وأخيرا عزمه

على تأدية فريضة الحج ذلك العام، وكان عبد الحفيظ من أكثر الناس إيمانا بمعجزة الحنين"[١٧].

ولم تكن استجابة الجميع واحدة، فها هو محجوب الذي كان معروفا بكرهه لأهل الدين والنساك منهم بوجه خاص يصمت كلما سمع خبرا عنه، وهو يحس بقلق خفي يشعر به تجاه مثل هذه الحالات، "(سيف الدين عزم على الحج تصدق بالله يا زول ؟ تآمن والا ما تآمن ؟ معجزة يا زول دون أدنى شك) كان محجوب يقول لعبد الحفيظ لما بدأت القصة أن سيف الدين شبع من السفاهة، أو على قوله (وصل السفاهة حدها) ، وكان لا بد أن يتغير في يوم من الأيام ، لكنه وهو يسمع كل يوم شيئا جديدا مذهلا لم يعد قادرا حتى على الجدال ، فلاذ بالصمت"[١٨].

هـ- نعمة: وإذا كانت الفتيات اللاتي قابلهن الزين من قبل يشكلن مثيرا يدفعه لرفع عقيرته بتلك العبارة الشهيرة "كاتلاني..."، فإن نعمة فتاة تختلف عن الأخريات، وهي تشكل مثيرا آخر لا يستطيع أن يقول أمامها تلك العبارة مطلقا، وهو يتوقف ولا يحير كلمة، فهي مثير مختلف، "كل هذا وفي الحي فتاة واحدة لا يتحدث الزين عنها، ولا يعبث معها، فتاة تراقب من بعد بعيون حلوة غاضبة، كلما رآها مقبلة يصمت ويترك عبثه ومزاحه، وإذا رآها من بعد فر من بين يديها وترك لها الطريق"[١٩]. فالاستجابة هنا مختلفة تماما عما هي مع غيرها من الفتيات.

و- طالب مع الناظر: وحكاية الناظر مع حب نعمة تستغل أيما استغلال، فإن الطالب الطريفي الذي تأخر ذات مرة وقد أمسكه الناظر، فيقول له: "كان فناء المدرسة " الوسطى " ساكنا خاويا وقت الضحى ، فقد أوى التلاميذ إلى فصولهم، وبدأ من بعيد صبي يهرول لاهث النفس، وقد وضع طرف ردائه

تحت إبطه حتى وقف أمام باب " السنة الثانية " وكانت حصة الناظر .

" يا ولد يا حمار . إيه أخرك ؟ "

ولمع المكر في عيني الطريفي :

" يا فندي سمعت الخبر ؟ "

" خبر بتاع إيه يا ولد يا بهيم ؟ "

ولم يزعزع غضب الناظر من رباطة جأش الصبي، فقال وهو يكتم ضحكته :

" الزين ماش يعقدو له بعد باكر "

وسقط حنك الناظر من الدهشة ونجا الطريفي"(٢٠).

وهذه في الحقيقة براعة وذكاء من الطالب، فهو يستغل المعلومة الجديدة، وهي زواج الزين من نعمة، ليؤثر في الناظر، وقد نجح وأفلت من عقابه، وأفلت من أول درس للناظر في صفه. فالخبر أصبح مثيرا قويا للناس وخاصة الناظر الذي كانت له تجربة بائسة في خطبة الفتاة والرد السلبي الذي جاء من أهلها في رفضه.

ي- ومن المواقف التي تجعله يتحرك ويستجيب، محجوب يستفزه ليتحدث: يتكلم مع الزمرة التي يرافقها عن جرح أصابه، فيأتي تعليق أحد الرفاق على سبيل الاستفزاز، وهو مثير ناجح جدا في استدراج الاستجابة المتوقعة: "حكاية شنو يا عوير ؟ يا مشيت تسرق ضربوك بي غصن شوك ". فيعجبه هذا، ويقع في نفسه موقعا حسنا. "فيستلقي على قفاه ضاحكا. ثم يضرب الأرض بيديه ويرفع رجليه في الهواء ويظل يضحك بطريقته الفذة"(٢١). ثم لا يني يتحدث عما حصل له، فتكون الاستجابة ناجحة كما يراد لها.

فالظاهرة اللغوية وفق النظرية السلوكية عبارة عن سلسلة من المنبهات، تتلوها استجابات، تتحول هي نفسها منبهات تقتضي بدورها استجابات أخرى.[٢٢] وهذا يظهر بجلاء في المواقف السابقة الذكر.

ثانيا: الاستجابة الفاشلة:

وذلك مثل طلب آمنة لابنها من حليمة ابنتها، فهذه المرأة كانت على غير وئام مع أم نعمة، ولكنها اضطرت تحت إلحاح ابنها وزوجها أن تذهب لطلب يد نعمة لابنها، وأولى الاستجابات أن اللقاء كان فاترا، "وعلى المائدة فناجين وسكر وأشياء استقبلتها سعدية استقبالا فاترا، وعرضت عليها القهوة بصوت بارد، فرفضت آمنة، ولم تزد سعدية، لم تحلفها ولم تخصصها. وكان ذلك مثيرا جعلها تفتر عن طلبها، "وتطلبت آمنة شجاعة كبيرة ... أخيرا قالت في صوت مرتعش وفي داخلها تلعن ابنها الذي عرّضها لكل هذا الاحتقار: "سعدية أختي. أنا كت حالفه تاني الحياة ولا الممات ما يجيبني ليكي، بحال أنت من دون الناس كلهم ابيتي تجي تعزيني في أمي. لكين برضه المؤمن مسامح .. دحيني يا ختي أنا عافالك. الغرض الجابني ليكي حسع، الشيء الجيتك من شأنه، أحمد ولدي أبو أحمد وأنا عندنا رغبة في نعمة لي أحمد"[٢٣]. ولما فرغت من حديثها، شعرت بلسانها كقطعة من الخشب في فمها وأحست بحلقها قد تقلص فتنحنحت مرتين وارتعشت يداها. ولم تقل سعدية شيئا. لو أنها فاهت بكلمة واحدة لهدأ روع آمنة قليلا...، ونظرت إلى آمنة نظرة لم تفهمها. لم يكن فيها غضب أو حقد أو عتاب أو ود. وقالت بصوتها الهادئ الذي لا يهتز ولا يثور: " إن شاء الله خير. طبعا الشورى عند أبو البت وقت يجي نكلمه"[٢٤]. وكانت النتيجة كما هي متوقعة، رفض لزواجه نعمة من ابنها.

ومن الاستجابات الفاشلة: ما حدث عندما طلب المدير يد نعمة للزواج،

فقد ذهب إلى بيت والدها وطلب يدها، "فانتهز وعكة خفيفة ألمت بأبيها فذهب إليه بحجة عيادته . وجده وحده لحسن حظه ، وبعد حديث سطحي عن أسعار القمح وحال المدرسة ، دخل الناظر في الموضوع، وبسرعة طلب يد نعمة من أبيها، لم يفهم حاج إبراهيم شيئا أول الأمر، أو لعله تغابى فاستوضح الناظر في جملة أو جملتين حزنا في نفسه قال له أولا : (داير نعمة لي منو ؟) فقال الناظر بشيء من العجرفة : (لي منو ؟ أنا طبعا) . وكأنما حاج إبراهيم غرس خنجرا ثم ضغط على مقبضه ليثبته أكثر في قلبه حين قال له : (ليك أنت ؟) خلاصة القول أن زيارته كانت خطأ فادحا. وحاول حاج إبراهيم أن يخفف عنه الوقع فألقى خطبة طويلة عن الشرف الذي أسبغه عليه الناظر بطلبه وأنه خير صهر له وو ... لكن، وهذا هو المهم ، لكن الفرق بين سنّه وسنّ البنت يجعله لا يستطيع أن يقبل، فهو بهذا لا يرضي ضميره، ثم أن أخوانها سيعترضون، وأخيرا حاول الناظر ملافاة الضرر، فاستحلف حاج إبراهيم ألا يذكر شيئا مما دار بينهما لمخلوق، وأن يعتبر الأمر كأن لم يكن . (نحفر حفرة وندفنه في محله دا) [٢٥].

ومن الاستجابات الفاشلة أيضا ما حدث مع سيف الدين الذي كان منحرفا، وكانت له علاقات مشبوهة، وكان أبوه يصبر على تصرفاته على مضض، ولكنه فوجئ ذات مرة " لكن صبره نفذ حين جاء سيف الدين ذات ليلة، وهو على سجادته بعد صلاة العشاء. كان تفوح من فمه رائحة الخمر، وقال له، بصوت أجش من فعل الشراب والسهر، إنه يحب ساره (إحدى الجواري) ويريد أن يتزوجها، اسودت الدنيا في وجه الرجل وفقد صوابه، ابنه الوحيد سكران، فاسق، يقول له، وهو على مصلاته "[٣٦]، وكانت ردة فعله تجاه ما رأى عنيفة، إذ إنه قام وضربه ضربا مبرحا، وتبرأ منه وحلف ألا ينام في بيته ليلة واحدة"[٢٧].

ثالثا:الاستجابة المتعددة:

وهذا يحدث عندما تكون هناك مجموعة، وذلك كما حدث لأول مرة، في حقل العمدة، وأمام الجميع، حينما قال الزين لأول مرة عبارته:"يا ناس البلد. عزه بنت العمدة كاتلالها كتيل، الزين مكتول في حوش العمدة "[٢٨] ، مما أثار غضب العمدة، ولكن الشباب أبدوا ابتهاجهم. ثم تحول الموقف إلى ضحك بسبب اختلاف شخصية الفتاة وشخصية الزين. ولكن العمدة سيهدأ ويقول للزين: " نعرس[٢٩] لك عزة ". وضحك القوم مرة أخرى مجاراة للعمدة ، ولكن الزين ظل صامتا . وعلى وجهه جد واهتمام، ودون أن يشعر وجد ضربات معولة في الأرض تزداد قوة وتتابعاً[٣٠].

وذات الموقف يتكرر معه، ولكن مع فتاة أخرى هي ابنة محجوب، وهنا تتعدد الاستجابة بشكل واضح، فمن مرحبٍ بالأمر، وهم الشباب، الذين التفتوا إلى أنه توجد لدى محجوب فتاة جميلة، وكارهٍ للأمر، وهم الشيوخ الذين لم يعجبهم ذلك، واعتبروه خروجا على النظام الاخلاقي الذي يحكم المجتمع، "وينادي بأعلى صوته : " أنا مكتول في حوش محجوب ". وفي الحقول المجاورة يكف عشرات الناس . عن حفر الأرض برهة حين يسمعون نداء الزين . الشبان يضحكون، وبعض الشيوخ الذين يضيقون أحيانا بعبث الزين يهمهمون بتبرم : " الولد المطرطش دا يرغي يقول شنو ؟ " وحين ينتهي العمل في الحقل إلى البيت وسط زفة كبيرة من الشبان والصبيان والفتيات الصغار ، يتضاحكون من حوله ، وهو يختال مزهوا بينهم . يضرب هذا على كتفه، ويقرص هذه في خدها ويقفز في الهواء قفزات، وكلما رأى شجيرة طلع على قارعة الطريق نط فوقها، وبين الحين والحين يصيح بأعلى صوته، صياحا يتردد في أرجاء القرية التي غربت عليها الشمس : "اروك .. يا ناس الغريق .. يا أهل الحلة ... أنا

مكتول في حوش محجوب ..." [٣١].

والحقيقة أن جملة الزين "أنا مكتول في حوش ..." قد لفتت انتباه الأمهات إلى خطورة هذه الجملة، فقد تزوجت بسببها اثنتان هما ابنة العمدة ثم ابنة محجوب، فهذه الجملة أصبحت تشكل مثيرا لأنظار الشباب الذين انتبهوا إلى معناها، وأن هناك فتاة جميلة فتسارعوا إلى خطبتها، وكذلك لفتت أنظار الأمهات إلى جدوى هذه العبارة، فصرن يكرمنه طمعا في أن يذكر ابنتهن بمثل هذه الجملة فتكون دعاية لزواجهن، " ووفدت على الزين سنوات خصب مفعمة بالحب. فقد أصبحت أمهات البنات يخطبن وده ويستدرجنه إلى البيوت فيقدمن له الطعام، ويسقينه الشاي والقهوة، يدخل الزبن الدار من تلك الدور. فيفرش له السرير، ويقدم له الفطور أو الغداء في صينية وأوان، ويؤتى بعد ذلك بالشاي السادة بالنعناع إذا كان الوقت ضحى، والشاي الثقيل باللبن إذا كان الوقت عصرا. وبعد الشاي يؤتى بالقهوة بالقرفة والحبهان والجنزبيل ، سواء كان الوقت ضحى أو عصرا، وما يسمع النساء أن الزين في دار قريبة حتى يتقاطرن عليه، والواحدة منهن تقع في قلبه موقعا، والتي يخرج واسمها على فمه، تلك الفتاة تضمن زوجا في خلال شهر أو شهرين. ولعل الزين، بفطرة فيه، أدرك خطورة مركزه الجديد، فأصبح يتدلل على أمهات البنات ويتردد قبل أن يجيب دعوة إحداهن للإفطار أو للغداء"[٣٢].

وعلى العموم، إن جملة "أنا مكتول في حوش ..." أصبحت مثيرا قويا استدعى استجابة من قبل الشباب بالانتباه للفتاة التي قيلت فيها العبارة. وهو يمثل التعبير اللساني المحرك للأحداث، معبراً عن قضيتين كبيرتين تشغلان الفكر الاجتماعي السائد في مجتمع الرواية وبيئتها، ويُعدّان محركين أساسيين لبنية الحدث في الرواية وهما: الحياة والموت. وكأن غاية الحياة هي الموت.

ويمثل الاندفاع بالحياة نحو الجنس الآخر هو دافع الحياة ومحركها.

ولعله يهدف بهذا التعبير الصارخ إلى إيجاد نوع من التواصل عن طريق اللغة، والذي يثير كلّ من سمعه إثارة خاصة وقوية، مشحونة بدلالات وعواطف متعددة المظهر، وطرائق الاستجابة، لارتباطها بمفاهيم اجتماعية لغوية خاصة، كأنها الأحلام التي لا تحقق لها.

إنّ هذه الصياغة اللسانية تفصح عن صراع بين ثنائية الحياة والموت، وتجعل شخصية الزين متأرجحة بينهما، لا إلى الحياة يصير بتحقيق حلمه، ولا إلى الموت ينتهي، فيهدأ روعه، وتستكين جوارحه. وتنتصر الحياة من خلال الاستجابات التي تحدث بعد إطلاق عبارته المثيرة والمتجددة، باقترانها باسم جديد.

إنّ التركيب اللغوي المعين يمكن أنْ يثير انفعالات متعددة تبعاً لعناصر الحدث الكلامي، فتصبح الصورة الدلالية المتحققة لدى الاستجابات المتعددة أكثر إثارة، في محاولة لخلق مستويات دلالية في سياقات لسانية علاميّة ذات نمط خاص.

ولعل من أهم المثيرات في هذه الرواية، والتي لقيت استجابات متعددة على مستوى القرية، خبر زواج الزين، فقد انطلق الخبر، ولاقى أصداء مختلفة، فهذه آمنة قد أصابتها الدهشة، حينما سمعت حليمة بائعة اللبن تقول لها: – وقد جاءت كعادتها قبل شروق الشمس – وهي تكيل لها لبنا بقرش :

"سمعت الخبر ؟ الزين مو داير يعرس " .

وكاد الوعاء يسقط من يدي آمنة "(٣٣).

وكان تأثير ذلك في نفسها بالغ الأثر، "تذكرت آمنة كل هذا، وتذكرت كيف أنهم رفضوا بعد ذلك، والآن يزوجونها للزين – هذا الرجل الهبيل الغشيم!

يزوجونها للزين دون سائر الناس، وشعرت آمنة كأن في الأمر إساءة موجهة لها شخصيا، عن عمد." [٣٤]. ردة الفعل كانت أولا قاتلة، عندما رفضت ابنها، وثانيا عندما علمت باسم الشاب الذي سيتزوجها، الزين، ما حدث شيء لا يستوعبه العقل، ولا يقبله القلب.

وكذلك الأمر حدث مع الناظر حينما سمع الخبر من الطالب الطريفي، "وسقط حنك الناظر من الدهشة"[٣٥]. والأمر نفسه حدث مع عبد الصمد، حينما ذهب لأخذ ديْن له على صاحب البقالة، "يمين قروشك حاضرات، كدى اقعد انحكيلك حكاية عرس الزين"

" قلت عرس منو ؟ "

" عرس الزين "

وجلس عبد الصمد ووضع يديه على رأسه وظل صامتا برهة، وشيخ علي ينظر إليه مغتبطا بالأثر الذي أحدثه. وأخيرا وجد عبد الصمد ما يقول:

" أي لا إله إلا الله محمداً رسول الله . عليك الرسول يا شيخ علي دار حديث شنودا؟ "[٣٦]، ونتيجة هذا الخبر أنه لم يحصّل ديْنه من الرجل ذلك اليوم.

وكان إمام المسجد من المعارضين لهذا الزواج، " جرى الإمام مراسم الزواج في المسجد . ناب حاج إبراهيم عن ابنته . وناب محجوب عن الزين . ولما تم العقد. قام محجوب، ووضع المهر على صحن ، حتى يراه كل أحد مائة جنيه ذهبا ، وهي من حر مال حاج إبراهيم . ووقف الإمام بعد ذلك ، وأدار عينيه في الرجال المجتمعين (كانت أم الزين المرأة الوحيدة بينهم) وقال إن الجميع يعلمون أنه عارض هذا الزواج ، أما وأن الله شاء له أن يتم فهو يسأله سبحانه وتعالى أن يجعله زواجا سعيدا مباركا . التفت الناس إلى الزين

ولكنه كان مطرقا . وقال محجوب لعبد الحفيظ بصوت خافت: " ايه لزوم ذكر المعارضة والكلام الفارغ ؟" وعجبوا حين رأوا الإمام يمشي نحو الزين ويضع يده على كتفه ، فالتفت إليه الزين بشيء من الدهشة . أمسك الإمام يده وشد عليها بقوة ، وقال بصوت متأثر: " مبروك . ربنا يجعله بيت مال وعيال " . تلفت الزين حوله ببلاهة ، ولكن أحمد إسماعيل نظر إليه نظرة صارمة فطأطأ برأسه"(٣٧).

إنّ إطلاق الكاتب عبارته المثيرة على لسان بعض الشخصيات:" الزين مو داير يعرس" المرتبط بعبارة الزين المشهورة:" أنا مكتول في حوش ... " ترتبط باستجابته وحدسه الذي يستقصي أبعاداً إنسانية جديدة، ويمد الحدس الروائي بطاقة روحية متجددة لا تعرف الاستقرار، في محاولة إيمائية لإضاءة حركة الرواية، في تطلع إلى حدث شبيه بالأحلام والخيال نحو المطلق، دافعاً الحياة بمعاني الموت، وكأنّ مقتله وموته وقود يؤجج حركة الأحداث، في صياغة خاصة، وَهَبَتْ التعبير اللغوي القدرة على اختراق الأفق الذي يسكن في أحلام شخصيات الرواية، ويشكل الهاجس الكائن في ضمائرهم، فنجد استجاباتهم سريعة لها ومختلفة بين القبول والرضا والاستنكار.

ويمثل التعبير اللساني لشخصية الزين دور الفاعل الكاشف المؤثر المجدد، يمارس دوراً حقيقياً، ويزرع في الوجدان البشري والاجتماعي ناراً في الأشواق النائمة، باستدراجه إلى عوالم جديدة. فالنسيج الروائي يثير التصور البشري، ويزرع في أحداقه واقعاً يختبئ وراء الواقع، فلا حدّ للتجديد الذي ينسق المنطق، وينقض البدهيات العقلية، ويتحرك في مسار الجنون، خرقاً للعادة وتجاوز دائرة المعقول. (٣٨)

ويمثل هذا التعبير اللساني الخاص الذي أثار هذه الاستجابات المدهشة

ضرباً من الانزياح الاصطلاحي، يقوم على الباثّ والمستقبل، ولكنه اصطلاح لا يطّرد، وبذلك يتميز عن اصطلاح المواضعات اللغوية الأولى، فهو تواضع جديد، لا يفضي إلى عقد بين المتخاطبين(٣٩).

وبعد هذا الطواف في ثنايا هذه الرواية ومواقفها الماتعة، وبعد عثور الباحثين على مواقف متعددة، تبين للباحثين أن المواقف ليست بالضرورة أن تستدعي استجابة معينة، كما ذهب أصحاب النظرية، وأن الاستجابات، من حيث الحتمية، دائما موجودة، ولكنها قد تكون ناجحة كما يبتغي صاحبها، وكما في أغلب المواقف التي سردناها سابقا، كالزغرودة التي كان لها وقع السحر في النفوس، وفاشلة كما لم يتوقع صاحبها، كما خطبة المدير لبطلة القصة، ومتعددة كما في موقف عمدة القرية من كلام الزين ، وقوله: "أنا مكتول في بيت العمدة"، ومن هنا تميل هذه الدراسة إلى القول بأن الاستجابة يمكن أن تكون بكل الأوجه، ناجحة، وفاشلة، ومتعددة. وهو أولى من القول بحتمية الاستجابة، وهذا الذي نقول هو تصديق لبعض ما قيل حول هذه النظرية، تحديدا حول هذه النقطة.

•الخاتمة:

وفي نهاية المطاف، تنتهي هذه الدراسة إلى فكرة أن الرواية تقوم على فكرة المثير والاستجابة، وأن جميع الأحداث تتغطى بهذه الفكرة، وقد يكون المثير واحدا، والاستجابة واحدة، استجابة ناجحة، وهو الأغلب، أو فاشلة، وهو الأقل، وقد تكون متعددة، وذلك فيما إذا كان من يتلقى هذا المثير أكثر من واحد، فحينئذ تتعدد الاستجابات. وهو ما أثبتته هذه الدراسة بالأمثلة.

وقد كانت فكرة عرس الزين من أكثر الأحداث إثارة في النفوس، إذ تلقاها أهل القرية بالاهتمام، مع اختلاف الاستجابات، ما بين فَرِحٍ، وآخر غاضِبٍ. ومن الجمل المثيرة التي أصبحت تُتلقى بالاهتمام مقولة "أنا مكتول

في حوش..."، والتي أثارت اهتمام الشباب إلى أن هناك فتاة ذات جمال باهر، فيهرعون إلى خطبتها، وانتباه الكبار الذين لم يعجبهم مثل هذا الكلام الخارج عن مفاهيم وعادات المجتمع.

الهوامش :

(١)سعيد بوفلاقة، قراءة أسلوبية في رواية الطيب صالح عرس الزين، مجلة الآداب، مجلد ١، عدد ٩، ص ١٤٨-١٧٣

الرابط: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/21264

(٢)رابطة أدباء الشام، الرابط: http://www.odabasham.net/نقد-أدبي/٦٩٠٣١-دراسة-نقدية-لرواية-عُرس-الزين-٣-٤

(٣)هيزر جي شاركي، عبيد السودان السابقين: دراسة عن "عرس الزين" للطيب صالح، ترجمة وتلخيص: بدر الدين حامد الهاشمي، صحيفة سودانايل، ٢٠١١/٧/١٣ م، الرابط:
http://sudanile.com/index.php?option=com_content&view=article&id=31279:@cc-c@b&catid=135&Itemid=55

(٤)محمود وليد أبو ندى، تحليل رواية عرس الزين للطيب صالح، رابط الفيديو:
https://www.youtube.com/watch?v=nNfOpYFDTsg

(٥)جبور أم الخير، العجائبي في الرواية السودانية عرس الزين للطيب صالح أنموذجا، Africa and the West، Volume 11, Numéro 14, Pages 115-121

(٦)أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، ص ٥٩-٦٠

(٧)محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دارالفكرالعربي، الطبعة: طبعة ٢ - القاهرة ١٩٩٧م، ص ٢٤٧-٢٤٨

(٨)حساني، أحمد، دراسات في اللسانيات التطبيقية، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر ٢٠٠٠م، ص٢٠.

(٩)الراجحي ، عبده، علم اللغة والنقد الأدبي، مجلة فصول، م١ ، ع٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، يناير ١٩٨١م، ص١٢١.

(١٠) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص ٦٣

(١١) المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ط٣،الدار العربية للكتاب، طرابلس ليبيا، د.ت ، ص٣٥-٣٦

(١٢) الطيب صالح، عرس الزين، دار العودة – بيروت، ١٩٨٣م، ص ٤٢، ومعنى العبارة هو الترحيب القادم. يقال للضيوف بمعنى أننا سوف نخدمكم بأصابعنا العشرة وبإبتسامة. موقع قديم، http://www.qadeem.com/vb/showthread.php?t=8494

(١٣) الطيب صالح، مصدر سابق ص ٩٣-٩٤

(١٤) الطيب صالح، مصدر سابق ص ٩٤

(١٥) الطيب صالح، مصدر سابق ص ٢٢

(١٦) الطيب صالح، مصدر سابق ص ٤٧

(١٧) الطيب صالح، مصدر سابق ص ٥٩

(١٨) الطيب صالح، مصدر سابق ص ٦٠

(١٩) الطيب صالح، مصدر سابق ص ٢٤

(٢٠) الطيب صالح، مصدر سابق ص ٦

(٢١) الطيب صالح، مصدر سابق ص ١٢

(٢٢) المسدي، عبد السلام ، الأسلوب والأسلوبية، ط ٣ ، الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٨٢م، ص٦١.

(٢٣) الطيب صالح، مصدر سابق ص ٣٠

(٢٤) الطيب صالح، مصدر سابق ص ٣١

(٢٥) الطيب صالح، مصدر سابق ص ٦٩ – ٧٠

(٢٦) الطيب صالح، مصدر سابق ص ٥٤-٥٥

(٢٧) الطيب صالح، مصدر سابق ص ٥٥

(٢٨) الطيب صالح، مصدر سابق ص ٢٠، ومعنى العبارة التي قالها أنه واقع في حبها.

(٢٩) أي نزوجها لك.

(٣٠) الطيب صالح، مصدر سابق ص ٢٠

(٣١) الطيب صالح، مصدر سابق ص ١٧

(٣٢) الطيب صالح، مصدر سابق ص ٢٣

(٣٣) الطيب صالح، مصدر سابق ص ٥

(٣٤) الطيب صالح، مصدر سابق ص ٣٢

(٣٥) الطيب صالح، مصدر سابق ص ٦

(٣٦) الطيب صالح، مصدر سابق ص ٧

(٣٧) الطيب صالح، مصدر سابق ص ٩٥

(٣٨) خالدة سعيد، حركية الإبداع دراسات في الأدب العربي، ط ٣ ، دار الفكر للطباعة بيروت ١٩٨٦م ص٨٨.

(٣٩) أبطي، عبد الرحيم ، الانزياح واللغة الشعرية، مجلة علامات،ج٥٤ ، م١٤، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ٢٠٠٤م، ٤٧٠-٤٧١.

مراجع البحث:

أبطي، عبد الرحيم، الانزياح واللغة الشعرية، مجلة علامات،ج٥٤، م١٤، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ٢٠٠٤م.

أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب.

جبور أم الخير، العجائبي في الرواية السودانية عرس الزين للطيب صالح أنموذجا، Africa and the West، Volume 11, Numéro 14, Pages 115-121

حساني، أحمد، دراسات في اللسانيات التطبيقية، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر ٢٠٠٠ م.

خالدة سعيد، حركية الإبداع دراسات في الأدب العربي، ط٣ ، دار الفكر للطباعة بيروت ١٩٨٦ م.

الراجحي، عبده، علم اللغة والنقد الأدبي، مجلة فصول، م١ ، ع٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، يناير ١٩٨١ م.

سعيد بوفلاقة، قراءة أسلوبية في رواية الطيب صالح عرس الزين، مجلة الآداب، مجلد ١، عدد ٩.

الطيب صالح، عرس الزين، دار العودة – بيروت، ١٩٨٣م.

محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، دار الفكر العربي، الطبعة: طبعة ٢ – القاهرة ١٩٩٧م.

محمود وليد أبو ندى، تحليل رواية عرس الزين للطيب صالح، رابط الفيديو.
https://www.youtube.com/watch?v=nNfOpYFDTsg

المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ط ٣، الدار العربية للكتاب، طرابلس ليبيا، د.ت.

هيزر جي شاركي، عبيد السودان السابقين: دراسة عن "عرس الزين" للطيب صالح، ترجمة وتلخيص: بدر الدين حامد الهاشمي، صحيفة سودانايل، ٢٠١١/٧/١٣ م، الرابط:

http://sudanile.com/index.php?option=com_content&view=article&id=31279:@cc-c@b&catid=135&Itemid=55